

الفصل الثالث

الغزو العسكرى

استخدمت أوروبا الغزو العسكرى ضد الإسلام من خلال محورين :
أحدهما : غزو عسكرى قامت به دول أوروبية قياماً مباشراً ضد معاقل الإسلام .

والآخر : غزو عسكرى لم تكن أوروبا طرفاً مباشراً فيه ، بل هى المحرك له من وراء الكواليس ، وذلك بخلق قوى إسلامية متضاربة ؛ إما دولتين إسلاميتين ، أو بين قوى متصارعة داخل الوطن الواحد . وكلا المحورين كانت أوروبا هى الكاسبة لنتائج عملياته . فأى طرف ينتصر فهو انتصار محسوب لأوروبا بالطبع . وقد تناصر أوروبا أحد الطرفين المتصارعين إذا كان الطرف المناصر من قبيل أوروبا ذا أيديولوجية معادية للإسلام ، وتخدم الأهداف الكبرى التى وضعت من أجل كسر شوكة القوى الإسلامية الحرة .

وقد يكون هذا الطرف الذى تناصره أوروبا طرفاً ناشئاً غير معروف من قبل ، سعت أوروبا لتكوينه لضرب نظام قائم يقف من سياسة أوروبا موقفاً سلبياً فتصاب مصالحها بالجمود ، أو موقفاً إيجابياً صريحاً ضد أطماع الغرب فى قُطر إسلامى أياً كان .

ومما هو جديد بالذكر أن المعسكرين - الرأسمالى الصليبي والشيوعى الإلحادى - قد مارسا هذه السياسة فى معاقل الإسلام ، وكل منهما له « ليلى » يغنى عليها ، وقد يكون - وكثيراً ما كان - هذا التنافس بين المعسكرين

الكبيرين هو السيطرة وبسط النفوذ على العالم الإسلامى من أجل تقليص ظل المعسكر الآخر فى المنطقة وللاستثمار بموارده الطبيعية وأسواقه الاقتصادية .

ولا أعتقد أن التمثيل لتلك الصور التى سردناها بمستعص على القارىء ، وسوف يتضح فيما يأتى معنى تلك الإشارة العابرة التى أوردناها من واقع الغزو العسكرى الحديث للعالم الإسلامى المتآمر عليه .

● الغزو المباشر :

بدأ الغزو العسكرى المباشر من دول أوروبا على العالم الإسلامى من وقت مبكر ، ففى عام ١٨٥٧ تم احتلال الإنجليز للهند ، وقضت على أكبر دولة إسلامية فيها وهى دولة المغول أو الدولة التيمورية . وخضع الهند سياسياً لسيطرة الإنجليز . وفى العام نفسه - ١٨٥٧ - بسطت فرنسا نفوذها على جميع أراضى الجزائر بعد أن بدأت بغزوها عسكرياً منذ عام ١٨٣٠

ومن قبل ، وفى بداية القرن السابع عشر بسطت هولندا نفوذها على جذر الهند الشرقية (أندونيسيا) وكانت من قبل خاضعة لدولة البرتغال ، قبل أن يضمها ملك أسبانيا إلى مملكته عام ١٥٨٠ ، وبذلك توغل الاستعمار منذ ذلك التاريخ فى السيطرة على مواقع حساسة جداً من البلاد التى يقطنها المسلمون ، وظل خارج النفوذ الاستعمارى بقية البلاد الإسلامية العربية فى إفريقيا وآسيا ، ثم الدولة الصفوية فى فارس ودولة الأتراك العثمانيين فى آسيا الصغرى وشرقى أوروبا .

ودول إسلامية أخرى (غير عربية) لم تكن مصدر خطر على أمن أوروبا فى ذلك الوقت ، وإن كان بعضها قد بادرت إليه البرتغال قبل استفحال الاستعمار الأوروبى لبلاد الشرق الإسلامى ، ونجحت البرتغال فى بسط نفوذها على مواقع ذات خطر فى العالم الإسلامى ، وتعتبر البرتغال رائدة الدول الاستعمارية قبل أن يلتهمها ملك أسبانيا كما تقدم .



● وإن خالها تخفى على الناس :

قامت البرتغال بدور تمهيدى خطير لتنشيط حركة الاستعمار فيما بعد وقام رُحَّالُها الشهير « فاسكودى جاما » برحلات فى أنحاء العالم الإسلامى اكتشف خلالها رأس الرجاء الصالح فى أقصى جنوب القارة الإفريقية عام ٩٠٣ هـ (الموافق ١٤٩٧ م) . وسميت تلك الرحلات بالكشوف العلمية زوراً وبهتاناً . بل كان لها هدف آخر ظنوا أنه سيكون سرّاً إلى الأبد ، ولكن كما قال زهير بن أبى سلمى الشاعر الجاهلى :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

فقد حفظ التاريخ عبارة لـ « فاسكودى جاما » حين وصل إلى جزر الهند الشرقية (أندونيسيا) فقد قال : « الآن طوّقنا عنق الإسلام ، ولم يبق إلا أن نجذب ليختنق ويموت » !!

صحيح إن كل واقعة استعمارية لم تخل من المطامع المادية .. ولكن استعماراً وأوروباً لبلاد الشرق الإسلامى كان المقصود منه - ولا يزال ذلك المقصود - هو القضاء على الإسلام كما أفصح « جاما » فى عبارته السابقة ، أو - إن لم يتحقق ذلك - تشويه حقائق الإسلام وعزله عن واقع المسلمين .

والمرحلة المبكرة التى أشرنا إليها من مبادرة بعض دول أوروبا لاحتلال بعض المواقع المهمة من العالم الإسلامى ، تلتها مرحلة أخرى أخطر وأعم ، إذ كان ما يزال أمامهم عمل آخر للقضاء على قوة الإسلام فى فارس ، والبلاد العربية ، وفى تركيا التى استطاعت أن تجعل من المسلمين على اختلاف أجناسهم ومواقعهم ولغاتهم قوة ذات خطر تحتل المنزلة الأولى بين القوى العالمية . وفيما يأتى عرض سريع لما تلا تلك المرحلة ، والهدف الأسمى الذى كانت القوى المعادية للإسلام تجدد فى تحقيقه :

● المؤامرات ضد دولة الخلافة :

مهما أخذه الآخزون على دولة الخلافة من مآخذ ، سواء أكانوا مقلدين عُمياً لدعاية أوروبا تلك التى روجتها باعتبارها إحدى الوسائل التى استُخدمت فى تقويض دولة الخلافة العثمانية حين كانت قائمة ، وفى تشويه سيرتها فى التاريخ بعد غروب شمسها حتى لا يراود المسلمين أمل فى العود إلى مثلها ، مهما أخذه الآخزون على تلك الدولة من مآخذ ، وما ألصقوه بها من معائب ، فإنها كانت علامة بارزة فى وجه التاريخ القريب على أن الإسلام هو القادر وحده على صهر كل الفوارق بين الأفراد والمجتمعات ، وجمعهم على أسس قوية راسخة تجعل منهم وحدة قوية متماسكة تستقطب ولاء الأصدقاء ، وترهب تكتلات الأعداء ، وأنه القادر وحده على إكتساح كل الأيديولوجيات التى تنحرف عن منهج الله فى الكون مهما ملكت من أسباب القوة والتمكين فى الأرض وبخاصة إذا أقام المسلمون أمرهم على هدى الإسلام كما جاء فى وحي الله الأمين ، وسُنَّة رسوله الكريم ، وسيرة خلفائه الراشدين ، وآمنوا بالإسلام كله بلا تأويل زائغ ولا انحراف محتال .

والتاريخ صادق وأمين ؛ فحظ المسلمين من العزة والكرامة والانتصار يتناسب تناسباً طردياً وحظهم العملى الصادق من الإسلام ؛ وبذلك جاء الوحي الأمين :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١١) .

والاستخلاف فى الأرض ، ثم تمكين الدين الذى ارتضاه لنا رب العزة ، وتبديل الخوف أمناً غايات ثلاث يُبذل من أجلها كل عزيز ، ويُنفق كل غال ،

وتهون كل التضحيات . غايات لن تصل إليها إلا أمة تعبد الله ولا تُشرك به شيئاً ، يكون ولاؤها الخالص لرب السموات والأرض ، متمسكة بعُرَى الإيمان الصحيح ، عاملة بما يقتضيه ذلك الإيمان فى كل ما تفعل وما تذر . والأمة المؤهلة فعلاً لهذه الخلافة الراشدة هى الأمة الإسلامية إذا ثابت إلى ربها ، وثابت إلى رشدها . وأعداء الإسلام يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ، لذلك فهم حريصون كل الحرص على محاربة كل وسيلة تُقرب المسلمين من إسلامهم . ولذلك - مرة أخرى - قوامت دولة الخلافة وتحالفت دول أوروبا على إسقاطها من أقصى طريق .

بالغزو العسكرى ؟ نعم .

وبوسائل أخرى تهد له ؟ نعم .

هذا هو الذى كان .. وهذا هو الذى كائن الآن .



● الوسائل المهمة للغزو العسكرى :

أدرك قادة الغرب أن مواجهة دولة الخلافة بالغزو العسكرى وحده - وجميع المسلمين كانوا ينضوون تحت لوائها - أدركوا أن الغزو العسكرى وحده محفوف بكثير من المخاوف . وأدركوا أنه لا مناص من وسائل أخرى تفتت كل القوة قبل مواجهتها وتبث الدماطل والجروح الغائرة فى كيانها فتصاب بمرض عضال ، ثم يأتى الغزو المسلح للإجهاز على « الرجل المريض » للتعجيل بانزال المنية به .

وكانت الوسائل المهمة للإجهاز قوية وفعالة . وهى فى إيجاز :

- ١ - إثارة الأقليات داخل نطاق الدولة ؛ لإحداث بلبلة واخل فى الداخل فتصاب الدولة بدوار فظيع ، وهى - كما ترى - حيلة مأكرة لا تكلف الدول المتآمرة سوى الدس والتحرش مع بذل المناسب من المال إذا اقتضى الأمر .

فقد كانت روسيا القيصرية تثير الأرثوذكس وبخاصة نصارى أرمينية . وكانت بريطانيا تثير الأقليات الأخرى . وكان يهود الدونغا ، وهم اليهود النازحون من المغرب قد تجمعوا فى « البلقان » أكبر خطر داخلى على الدولة . والأداة الطيعة فى يد المتآمرين ، وفيهم ومنهم نشأ حزب « الاتحاد والترقى » الذى اضطلع بدور خطير فى القضاء على دولة الخلافة ، وعمل جاهداً على « تغريب » تركيا فيما بعد بقيادة الرجل الصنم « أتاتورك » .

٢ - تشجيع حركات الانفصال عن الدولة : ومن الوسائل الممهدة للغزو المسلح أن شجعت دول أوروبا حركات الانفصال عن الدولة من بعض الشعوب التى كانت خاضعة لسلطان دولة الخلافة . والتى أطلقَ عليها اسم « الحركات الوطنية » فقد استضافت فرنسا عام ١٩٠٧ مؤتمراً كان أعضاؤه من اليونانيين والبلغاريين والألبان وبعض الأتراك الذين شقوا عصا الطاعة على السلطان عبد الحميد الثانى خلف السلطان عبد العزيز ، وكان الغرض من هذا المؤتمر تنظيم حركة المقاومة ضد الدولة ثم الإطاحة بالسلطان عبد الحميد نفسه . كما كانت إنجلترا تعمل جاهدة على حماية زعماء الحركات الوطنية كما حدث فى وقف الحكم الصادر بالإعدام على مدحت باشا أحد زعماء حزب « تركيا الفتاة » وقامت بضغط شديد على السلطان عبد الحميد لوقف الحكم المشار إليه .

٣ - إشعال « فتيل » القوميات : أشعلت دول الغرب فتيل القوميات داخل تركيا نفسها ، لتستفيد من هذه الوسيلة على نطاق واسع . فراحت تُزَيِّنُ للأتراك العودة إلى القومية الطورانية - وهى قومية الأتراك قبل دخولهم فى الإسلام - كما زُيِّنَتْ لهم العودة إلى الطوطم القديم وهو « الذئب الأغبر » معبود الأتراك قبل الإسلام .

وحين شاعت هذه « الثغرة » الجاهلية داخل تركيا نشطت دول الغرب فى الاستفادة منها على نطاق واسع خارج تركيا .. فأخذت تُحَبِّبُ للفرس إحياء القومية الفارسية ، وللعرب إحياء القومية العربية . والوقود الذى ساعد على هذا الاشتعال أن الترك بدأوا يهتمون بأنفسهم فعلام يظل العرب والفرس

مخدوعين بذلك الشعار الواهى وهو شعار الأخوة والوحدة الإسلامية وها هى دولة الخلافة نفسها بدأت تتنكر لها ؟!

٤ - وصف دولة الخلافة بالظلم والاستبداد : نجحت أوروبا - بحق - فى أمرين فى هذا المجال : الأمر الأول : تجسيم أى خطأ يقع من دولة الخلافة مهما كان صغيراً . والأمر الثانى : افتراء أخطاء لم تقع أساساً وإصاقها بدولة الخلافة . فإذا طارد السلطان العثمانى مَنْ يتآمرون على وحدة الدولة وتفتيت قواها هللت أوروبا وطبّلت وأذاعت أن السلطان قد بلغ المدى فى الظلم والاستبداد مع أن كل دولة فى كل عصر - وإلى الآن - تعتبر الخروج عن نظامها ومحاولة السعى لإيجاد نظام بديل جريمة من أقبح الجرائم ، أو هى « الخيانة العظمى » التى ترتكب ضد النظام ، وظلت أوروبا تُلصق التهم جزافاً لدولة الخلافة حتى رسخ فى البينات الإسلامية - وإلى هذه اللحظة - أن عهد دولة الخلافة إنما هو عهد انحطاط وجهل وظلام خيم على المسلمين حيناً من الدهر ، وما تزال مناهج الدراسة فى كثير من الدول الإسلامية تُعلّم النشء هذا الدرس دون أن يفتن ولاية الأمور وقادة المسلمين إلى المغزى من هذه التوجيهات .

٥ - عزل العرب عن دولة الخلافة : ولما كانت النية مبيّنة لدى أوروبا بتوجيه ضربة عسكرية عنيفة لحكومة الباب العالى ، كان لا مناص من عزل العرب المسلمين عن الرباط الإسلامى الجامع بينهم وبين المسلمين الأتراك .. واستثمرت أوروبا فى هذا المجال فتيل القومية العربية ، وذكّرت العرب بما يقع عليهم من ظلم من سياسة الباب العالى ، كما ذكّرتهم أنهم أولى من غيرهم بخلافة المسلمين . فنبى الإسلام عربى ، والقرآن نزل باللغة العربية ، وأنصار الإسلام الأوائل كانوا عرباً ، وهم الذين نشروا الدعوة خارج شبه الجزيرة العربية ، وبلغوه لشعوب الأرض ، والمقدّسات الإسلامية لا موطن لها إلا البلاد العربية (مكة المكرمة ، والمدينة المنورة) فعلام يرضى العرب بتلك التبعية ، وهم الأحقاء بريادة المسلمين فى كل مكان ؟!

هذا مع وجود وعود أخرى معسولة تعهدت أوروبا بمقتضاها بتمكين العرب من الاستقلال التام وتخليصهم من مخالب تركيا ومساعدتهم على نقل الخلافة إلى مقرها الصحيح « مكة المكرمة » بعد التخلص من الكابوس العثماني الجاسم على صدر أوروبا والعرب معاً .



● تجنيد لا عزل :

وفى الواقع أن محاولات إنجلترا وفرنسا قبيل الحرب العالمية الأولى لم تكن لعزل العرب عن دولة الخلافة فحسب ، بل كانت مساعى جادة لتجنيد العرب ضد تركيا ، وبذلت الدولتان - وبخاصة إنجلترا - وعوداً وعهوداً ، وقدمتا التزامات مغرية للعرب سال لها لعاب القادة العرب ، وعُلِّقت عليها الشعوب العربية آمالاً لا حد لها . وعلى الرغم من تخوف العرب من الخديعة ، واحتمال أن تُغرَّرَ بهم أوروبا فإنهم قبلوا بعد تأكيدات من إنجلترا للشريف حسين شريف مكة ، قبلوا أن ينضموا للحلفاء : إنجلترا - فرنسا - روسيا القيصرية ، وأن يحملوا السلاح ضد إخوانهم من أتراك وغيرهم !! وقبل أن تعلن الثورة العربية فى ربيع ١٩١٦ بالدخول فى الحرب بجانب الحلفاء ضد تركيا وألمانيا ، سلم العرب وثيقة لبريطانيا تحدد شروط دخول العرب مع الحلفاء بكل وضوح ودقة . وقد جاء فيها :

- ١ - اعتراف بريطانيا بالبلاد العربية الواقعة ضمن حدود مرسومة تشمل البلاد العربية فى آسيا كلها عدا مستعمرة « عدن » جنوب غرب اليمن .
- ٢ - إلغاء جميع الامتيازات الخاصة الممنوحة للأجانب بموجب نظام الامتيازات .
- ٣ - عقد معاهدة تحالف بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة التى ستنشأ فى المستقبل .

٤ - منح بريطانيا أفضلية فى المعاملة الاقتصادية وكان رد بريطانيا الذى حرَّره « مكماهون » شديد المراوغة فقد طمأن فيه العرب على نقل الخلافة إليهم

من تركيا . أما مسألة الحدود فقال : ليس من المناسب بحثها الآن وفي ظروف الحرب الدائرة . وبخاصة أن المواقع العربية ما تزال في يد تركيا .



● أثر اشتراك العرب في الحرب :

باعتراف واضح وصريح أن نجاح الحلفاء في الحرب ضد تركيا لم يتحقق إلا على يد العرب ، ولولا اشتراك العرب في طرد تركيا من البلاد العربية لكان للنتائج الحربية اتجاه آخر . فقد أعلن سلطان تركيا الجهاد المقدس - كعادته - وهو فريضة على كل مسلم قادر ، بيد أن الثورة العربية التي قادها الشريف حسين شريف مكة أحبطت كل فعالية لإعلان الجهاد المقدس ، وهذا ما كانت تعمل حسابه الدول الحلفاء .

حقق العرب أروع نصر للحلفاء ، لأن كلاً من جنود الفريقين المتحاربين كانوا يحاربون على أرض هم عنها غريباء . أما العرب فقد كانوا خبراء بكل بقعة يقاتلون فيها . فكانوا أقدر من غيرهم على إحسان الكر والفر ، وانتهت الحرب العالمية الأولى ، وقد مات الرجل المريض (تركيا) وسال اللعاب لتوزيع التركة ، فيا ترى من كان هو الوارث لها ؟

العرب ، وهم الورثة الشرعيون .. أم الحلفاء وهم الدهاة الماكرون ؟



● تدابير جرت في الحلفاء :

والواقع أن نظام توزيع التركة كان قد وُضع في الحلفاء بين الحلفاء الثلاثة ، بعيداً عن العرب الذين كانوا دمية متحركة في أيدي الحلفاء لا أقل ولا أكثر .

ففي ربيع ١٩١٦ تم عقد اتفاقية سرية للغاية بين الحلفاء على تقسيم تركة الرجل المريض ، وهي الاتفاقية التي عُرِفَت باسم اتفاقية « سايكس - بيكو » . تم فيها الاتفاق سراً على كل شيء . فتم الاتفاق على أن تقتسم كل من بريطانيا

وفرنسا البلاد العربية بعد إجلاء الترك منها . أما روسيا القيصرية فكان نصيبها من تركة الرجل المريض خارج الوطن العربى .

ظلت هذه الاتفاقية سرّاً مكتوماً . ثم كشفت عنها روسيا البلشفية بعد إسقاطها لنظام روسيا القيصرية . كشفت عنها فى إطار سياسة جديدة غير التى كان يتبعها القيصر ، وألغت العمل بتلك الاتفاقية (سايكس - بيكو) من جانبها ، وحين كشفت عنها القناع ظهر للعرب أنهم كانوا مخدوعين إلى أبعد مدى وأنهم أشبه ما يكونون بما عناه الشاعر الذى هجا قديماً قبيلة « تيم » فقال :

ويُقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يُستأَمرون وهم حضور !؟

إنها خيبة رجاء لا مثيل لها فى التاريخ . وربما كان ذلك عقاباً من الله ، ودرساً لأولئك الذين شاقوا الله ورسوله ، وحاربوا إخوانهم المسلمين ، متعاونين مع أعداء العرب والإسلام معاً .. إنهم ارتكبوا خطأين فادحين :

● خطآن وقع فيهما العرب :

أحدهما : موالاته من نهى الله عن موالاته :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ... ﴾ (٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ (٣) .

(٣) النساء : ١٤٤

(٢) آل عمران : ٢٨

(١) المائدة : ٥١

والخطأ الآخر : قتلهم لإخوة لهم فى الإيمان ، وأخذهم على غرة مع أن الله تعالى ألزم رسوله ﷺ إذا كان بينه وبين أحد من الكافرين عهد أن يعلمهم بإلغاء ذلك العهد قبل أن يباذهم بالقتال ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ (١) .

والعرب غدروا بإخوانهم المسلمين غدراً حين فاجأوهم بالانضمام لصفوف الحلفاء إنهم نظروا إليهم بالعين التى كان يجب أن ينظروا بها إلى عدوهم ، ثم أثنوهم بالجراح والقتل . ناسين قول الحق سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ... ﴾ (٢) .

ثم قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٣) .

أجل إن خيبة الأمل التى منوا بها لهى درس بليغ من الله ليعتبروا . ولكن للأسف لم يعتبروا ، وما يزالون يوالون أعداءهم ، ويشقون فيهم ثقة عمياء . والمؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ..

*

● ومفاجأة أخرى :

لم يكن الغزو العسكرى التى اشترك فيه العرب إبان الحرب العالمية الأولى موجهاً ضد دولة الخلافة كما كانوا يعتقدون . بل كان غزواً خاضه العرب ضد أنفسهم ، ولصالح أعدائهم من النصارى واليهود . فقد استبدت الدولتان - بريطانيا وفرنسا - بتقسيم الوطن العربى فيما بينهم . فكان العرب أنفسهم من المتاع الموروث لتلكما الدولتين ، وهم قد دخلوا تلك الحرب - أعنى العرب - ليكونوا وارثين لا موروثين . وكانوا واهمين فلم يتنبهوا إلا وهم على أسنة رماح

(٣) النساء : ٩٣

(٢) النساء : ٩٢

(١) الأنفال : ٥٨

أعدائهم فى الباطن ، أصدقائهم فى الظاهر ، ثم أفصح الصبح لذى عينين .
ولكن بعد فوات الأوان .

وإذا كانت اتفاقية « سايكس - بيكو » مفاجأة مذهلة للعرب - الأغرار
حينذاك - وقد أشرنا إليها من قبل . فإن مفاجأة أخرى لا تقل عنها خطورة .
فى هذه المفاجأة يظهر وريث ثالث مشاكس إلى أبعد الحدود . إنهم اليهود الذين
كانوا قد وعدوا سرّاً بأن يُمكنوا من فلسطين ليقبموا لهم دولة عليها . وقد
تضمن هذه المفاجأة « المرة » وعد بلفور الصادر فى نوفمبر عام ١٩١٧ - أى
فى أثناء الحرب العالمية الأولى .

فوجيء العرب بكل هذه الصدمات فثاروا واحتجوا ولات حين مناص . فقد
مضى كل شئ دبّره الأعداء حسب الخطط الموضوعة وورثت إنجلترا وفرنسا
واليهود تركة الرجل المريض . وكان ذلك جزاءً وفاقاً من الله للعرب . وصدق
الشاعر الذى قال :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنسى عليه اجتهاده
لقد تخلى العرب عن الله ، وضربوا بكتابه عرض الحائط ، فتخلى الله عنهم ،
وباعوا بالذل والعار ، والتشتت .

وإذا كان الوريثان الأولان - إنجلترا وفرنسا - قد رحلا عن الوطن العربى .
فإنهما ما رحلا إلا بعد أن أفسدا ما شاء الله لهما أن يُفسدا ، ووضعوا
العراقيل أمام الإسلام ، وتركوا لهما عملاء مخلصين يقودون حملات الطعن
والتشويه ضد الإسلام من بعدهم .

أما الوريث الثالث - إسرائيل - فهو باق يعبث فى الأرض فساداً ، ويعبث
بمقدسات الإسلام وحرّمات المسلمين على مرأى ومسمع من العالم كله ، بالإضافة
إلى ما أنزل هذا الوريث - وما يزال ينزل - بالعرب المسلمين من خسائر فادحة
فى الأرواح والأموال وما حطم من كرامة وعزة .

إن الحرب العالمية الأولى كانت ضربة قاصمة لا للعرب وحدهم ، بل للإسلام والمسلمين . ومنها بدأ العد التنازلى لمجد المسلمين فى سجل التاريخ الحديث .

* *

● وشهد شاهد من أهلها :

ليس فى ما قلناه تحامل على أحد ، ولا تزيد فهذا « لورانس » الذى رافق الثورة العربية بإرادة الشريف حسين ضد دولة الخلافة يعترف بكل وضوح بأنهم كانوا يخدعون العرب حين زجوا بهم فى الحرب فيقول : « إذا ربحنا فإن عهودنا للعرب أوراق ميتة ، غير أن الاندفاع العربى كان وسيلتنا الرئيسية فى كسب الحرب الشرقية . وعلى ذلك أكدت لهم أن بريطانيا تحافظ على كلمتها نصاً وروحاً . فاطمأنوا إلى هذا القول وقاموا بالكثير من الأعمال المدهشة..ولكننى بالطبع ، بدلاً من أن أكون فخوراً بهذا الذى فعلناه معاً . كنت أشعر دائماً بمرارة الخجل » ؟!

وفى تركيا ينفذ كمال أتاتورك الخطط المرسومة للقضاء على الإسلام . فيلغى الخلافة نهائياً عام ١٩٢٤ ويلغى منصب شيخ الإسلام ، ويحارب اللغة العربية ، ويعاقب النساء المحجبات ، ويدعو إلى الإباحية ، ويحارب التعليم الإسلامى ، وينشر الكتابة بالحروف اللاتينية ، ويحول تركيا المسلمة إلى بلد أوروبى . وفى عبارة أجمع : أنه أغرب شمس الإسلام عن ربوع الدولة التى كانت تدعو إلى الوحدة الإسلامية بين جميع المسلمين . ويأبى سلطانها أن يستجيب لـ « هرتزل » الزعيم اليهودى المتعصب ليهوديته بمنح اليهود فلسطين ليقيموا لهم وطناً قومياً عليها مقابل إسكات الأقليات داخل حدود الدولة المترامية الأطراف ، وتقديم مساعدات مالية خاصة للسلطان وأخرى لشئون الدولة. ومع شدة احتياج الدولة للمال حينذاك فإن السلطان عبد الحميد يقول فى شجاعة المؤمن :

« هذه ليست أرضى - يعنى فلسطين - وإنما هى أرض المسلمين فلن أفرط
فى شبرٍ واحدٍ منها » !

* *

● إلا الحجاز :

إن الغزو العسكرى الأوروبى لم تكد تسلم منه دولة إسلامية قط ، عربية
أو غير عربية ، اللهم إلا أرض الحجاز التى حماها الله من أبارهة العصر
وأفيالهم ، كما حماها من قبل من أبرهة اليمن وأفياله .

* *

● أهداف الغزو العسكرى لديار الإسلام :

إن أبرز أهداف الغزو العسكرى لديار الإسلام هو دحر الإسلام نفسه . وضره
من الداخل بأسلحة الحرب الباردة ، وهذا ما تقصد إليه بالدرجة الأولى فى هذا
الكتاب . ونحن لا ننكر أن للغزو العسكرى أهدافاً أخرى اقتصادية أو سياسية .
ولكننا نملك عشرات الأدلة على أن كل غزو أوروبى لبلد إسلامى كان بالدرجة
الأولى لدحر الإسلام عن طرق أخرى غير الصدام المسلح ، فما الصدام المسلح إلا
وسيلة للاقتحام ، وبعد التمكن يفعل المقتحم ما يريد .

*

● المبادرة بتعطيل الشريعة :

ومن أقوى الأدلة العملية على أن هدف الاستعمار الغربى لديار الإسلام هو
دحر الإسلام نفسه ، أن أول عمل كان يبادر إليه المستعمر بعد توطيد أقدامه
فى أى بلد إسلامى ، هو تعطيل الشريعة الإسلامية ، وعزلها عن حياة المسلمين
المغلوبين على أمرهم :

حدث هذا فى الهند : فقد بادرت بريطانيا بوقف الشريعة الإسلامية ، وفى
نفس الوقت تركت الوثنيين يمارسون ضلالتهم فى حرية تامة ، وكان العمل
بالشريعة سارياً فى الهند حتى عام ١٧٩١

وحدث هذا فى مصر : فقد أدخل الخديو إسماعيل القانون الفرنسى فى مصر - بدلاً من الشريعة - عام ١٨٨٣ أى بعد فرض النفوذ البريطانى على مصر بعام واحد .

وحدث هذا فى الجزائر : عقب الاحتلال الفرنسى لها عام ١٨٣٠

وحدث هذا فى تونس : فقد أدخل القانون الفرنسى فيها عام ١٩٠٦

وحدث هذا فى المغرب : فقد سادها القانون الفرنسى منذ عام ١٩١٣

وحدث هذا فى تركيا : عقب إلغاء الخلافة عام ١٩٢٤ ومعلوم أن أتاتورك كان صنيعة الاستعمار وعميله الوفى .

وحدث هذا فى العراق والشام : وكان إلغاء الشريعة فيهما مواكباً لإلغاء الخلافة فى تركيا .

وما من بلد إسلامى كان للاستعمار وجود فيه ثم رحل عنه إلا وعمل فيه أعمالاً ضخماً ضد الإسلام . ومن الظواهر البارزة أن دولاً إسلامية سلّمت القيادة فيها لأقليات نصرانية بعد رحيل الاستعمار منها - مثل تشاد والسنغال - ويمكن درج الحبشة فى هذه القائمة ، فإن نسبة المسلمين بها تبلغ أكثر من ٦٥٪ تحكمهم أقلية نصرانية متعصبة حاكمة . وهناك دول مسخت هويتها الإسلامية تماماً تحت وطأة الاستعمار مثل ألبانيا .

*

● اضطهاد الأقليات الإسلامية :

ومن أبرز الأدلة - كذلك - اضطهاد الأقليات الإسلامية فى العالم . فما من أقلية إسلامية فى بلد غير إسلامى إلا وتتعرض لأنواع من الاضطهاد فيما عدا النذر اليسير من الدول ، ويبلغ الاضطهاد مداه فى بعض الدول الشيوعية والنصرانية حين يقوم أعداؤهم بهدم المساجد ، وحرق المصاحف كما حدث فى روسيا الشيوعية ، والفلبين وبلغاريا . ثم الإبادة لآلاف من المسلمين على فترات

متقطعة . والتدخل فى شئونهم الخاصة ، والأمثلة على ذلك تفوق الحصر (١) .
 ومن يُرد أن يقف على حجم المشكلات التى تتعرض لها الأقليات الإسلامية فعليه أن يرجع إلى مصدر موثّق من أهم المصادر الحديثة ، وهو كتاب « الأقليات المسلمة فى العالم : ظروفها المعاصرة . آمالها وآلامها » وهو يقع فى ثلاثة أجزاء بلغ عدد صفحاتها ١٥٠٠ صفحة من القطع الكبير . ضم أكثر من خمسة وستين بحثاً ومحاضرة حافلة بالإحصاءات ودقة البيانات . وهو عبارة عن وقائع المؤتمر العالمى السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامى ، الذى انعقد فى الرياض بالملكة العربية السعودية من ١٢ - ١٧ من شهر جمادى الأولى عام ١٤٠٦ هـ (الموافق ٢٢ - ٢٧ يناير عام ١٩٨٦ م) . إن القلب يكاد ينفطر حين يطلع على ما يتعرض له المسلمون فى كثير من بلدان العالم دون أن يكون لهم ذنب سوى أنهم مسلمون . وبعض البلدان تواجه المسلم بهذا الاختيار الشديد المرارة ، وهو : « أكفر أو تمّت » !!

وفى نفس الوقت لا تجد أقلية غير مسلمة مضطهدة فى دولة إسلامية مهما كانت عقيدة تلك الأقلية - نصرانية ، أو يهودية ، أو بوذية ، أو حتى ملحدة - هذا هو الفرق بين أخلاق الإسلام ورحابه صدره ، وبين العقائد والأيدولوجيات المعاصرة .

وأرجو من القارئ أن يأذن لنا بالانتقال من الغزو العسكرى باعتباره إحدى الوسائل التى واجه بها الإسلام خصومه الحاقدون ، مكتفين بالنماذج الموجزة التى قدّمناها لأن المهمة التى وضعنا من أجلها هذا الكتاب هى تتبع وسائل الكيد الأخرى ، مما أطلقنا عليه اسم : الحرب الباردة ؛ فهى أخطر من الحروب المسلحة والغزو العسكرى أضعاف المرات .

* * *

(١) ومن أشنع الأمثلة - ما يحدث الآن (١٩٩٢) - لمسلمى البوسنة والهرسك على أيدى قوات الصرب الغاشمة ؛ من قتل للرجال والنساء والأطفال ، وانتهاك للأعراض وإحراق للقرى ، ونسف للمنازل .. كل هذا بهدف القضاء على الهوية الإسلامية فى أوروبا (المصحح) .